هذه الطبقات الكثيفة جامدة متحجرة تنفرد فى التأثير بسلوك رجال الحكم السوفييتى بصورة قد تتناقض فى بعض الحالات مع طبيعة العقلية والمقومات الخلقية للشعب الروسى . وليس هذا التناقض بشئ جديد فى سلوك الأفراد والجماعات ؛ فالبريطانى فى بلده إنسان يختلف فى عقليته وسلوكه عن مواطنه الذى يتولى حكما فى مستعمرة أو ينفذ سياسة معينة درب نفسه على تنفيذها مسلحا بثقافة استعمارية خاصة، فرجال السلك الخارجى البريطانى مثلا حين ينتدبون للخدمة فى المستعمرات والمحميات والانتدابات يمرون فى تدريب خاص فى معهد الدراسات الشرقية فى جامعة لندن مثلا ، وما أكثر ما خلقه هذا التدريب من سلوك شاذ بعيد عن أوصاف العقلية البريطانية التقليدية

وبمثل هذا القياس يجب أن نوازن بين رجال الحكم السوفييتى فى موسكو وبين المواطنين الروس من غير رجال الحكم والإدارة . فنصف رجال الحكم بأن لهم عقلية سوفيتية (والسوفييت كلمة اشتقت بعد توطد الحكم الشيوعى فى روسيا)

ولنعرج الآن بعد هذه المقدمة على صلب البحث ونحاول أن نتعرف على بعض خصائص السلوك السوفييتى وعقلية الذين يوجهونه

نيويورك — للكلام بقية — عمر حليق

٥ ـ الميسر والأزلام

للأستاذ عبد السلام محمد هارون

لماذا استقسم العرب بالأزلام ؟

كان العرب فى الجاهلية على حيرة من أمرهم : أديان شتى ، وقبائل شتى ؛ لا نظام لهم يجتمعون عليه، ولا حكومة موحدة يرجعون إليها ، ويقفون عند الحدود التى ترسمها ، والقوانين التى تضعها فتكون موضع التنفيذ . والصحراء التى يضطربون فيها فتنتالهم حينا وتبسط عليهم جناح الأمن حينا ، وكذلك حال الفزع التى كانت تساجيهم من أشباح الحرب والنارات التى تصبحهم وتمسيهم ، وتفاجئهم فى ساعة من ليل أو ساعة من نهار . وكذلك حالتهم المعيشية التى تصيبهم بالبؤس المدقع والجوع القاتل أحيانا لاضطراب الحياة الاقتصادية . وكثرة حوادث القتل والاغتيال التى يتعذر عليهم إصدار حكم فيها . كل أولئك جعلهم فى حيرة من أمرهم ، وألقى عليهم ظلا ممتدا قاتما من التردد والحيرة ، والشك والاضطراب . فكان لابد لهم مما يذهب عنهم هذه الحيرة القاتلة ، فلجأوا إلى وسائل شتى ظنوها تجلب إليهم شيئا من الروح والطمأنينة وإن صارت عليهم حربا فيما بعد ذلك . لجأوا إلى التفاؤل والطيرة فحكموا الطير والحيوان فى أمورهم ، أيقدمون أم يحجمون . وتفاءلوا بالأصوات والكلمات يلتمسون فيها المنى الذى يبسطهم فيمضون فيما هم بسبيله ، والمنى الذى يقبضهم فيرتدون إلى حيث الأمن والسلامة

قال الجاحظ[1] : ويدل على أنهم يشتقون من اسم الشئ الذى يعاينون ويسمعون قول سوار بن المضرب :

تغنى الطائران ببين ليلى ... على غصنين من غرب وبان
فكان البان أن بانت سليمى ... وفى الغرب اغتراب غير دانى

فاشتق كما ترى الاغتراب من (الغرب) والبينونة من (البان)

وقال جران العود :

جرى يوم رحنا بالجمال نزفها ... عقاب وشحاج من البين يبرح
فأما العقاب فهى منها عقوبة ... وأما الغراب فالغريب المطوح

فلم يجد فى العقاب إلا العقوبة ، ووجد فى الغراب معنى الغربة

واستخبروا الجماد ، فكانوا يضربون بالحصى ليحكم بينهم فى أمرهم ، يطيعون حكمه وهو الجماد الذى لا يسمع ولا يبصر ولا يغنى شيئا

كان يفعل ذلك دهماء العرب ذوو النفوس اللينة الضعيفة

ويذكرون أن النابغة الذبيانى كان من أولئك . زعم الأصمعى[2] أن النابغة خرج مع زبان بن سيار يريدان الغزو ، فبينما هما يريدان الرحلة إذ نظر النابغة وإذا على ثوبه جرادة تجرد ذات ألوان ، فتطير وقال : غيرى الذى خرج فى هذا الوجه ! فلما رجع زبان من تلك الغزوة غانما سالما قال :

تخبر طيره فيها زياد ... لتخبره وما فيها خبير[3]

(١) الحيوان (٤ : ٤٤٠)
(٢) الحيوان (٤ : ٤٤٧)
(٣) زياد : اسم النابغة الذبيانى . ومما يجدر ذكره أن العرب يعدون (الجراد) من الطير

أقام كأن لقمان بن عاد أشار له بحكمته مشير
تعلم أنه لا طير إلا على متطير وهو الثبور

والبيت الثانى من هذه الأبيات يدلنا على مقدار إيمان بعض العرب بالطيرة ، وخضوعهم التام لسلطانها كما أن البيت الرابع يدلنا على نظرة العقلاء منهم إلى الطيرة ، وأنها من صميم الاتفاق لا غير . وكان زبان من دهاة العرب وساداتهم

وممن كان لا يرى الطيرة شيئاً المرقش من بنى سدوس ، إذ يقول :

إنى غدوت وكنت لا أغدو على واق وحاتم
فإذا الأشائم كالأيا من والأيامن كالأشائم
فكذاك لا خير ولا شر على أحد بدائم

فالعرب فى جاهليتهم كانوا يضطرون إلى ذلك ليجتلبوا قوة العزيمة فيما ضعفت عزيمتهم فيه ، وليقطعوا الشك قطعا بذلك الحكم الحاسم الذى يخضعون له خضوعا كاملا

١ — فكان العربى إذا أراد السفر والنقلة من موضعه استقسم بالأزلام ، ففى السفر مخاطر كثيرة ، مخاطر الطريق أن يضل به أو تتعرض له فى جنباته السباع ، أو تطيح به العاصفة الهوجاء ، ومخاطر الرحلة التى يعتليها فقد تهلك راحلته فتستبد به مشقة السفر . وتحدثه نفسه بعد ذلك ، أيئوب سالما غانما ، أم يغتاله الهلاك وتطويه الخيبة ، فلا بد له أن يقوى عزمه باستشارة الأزلام فهى التى تأمره ، وهى التى تنهاه

٢ — وكان العربى إذا ابتغى تجارة وليست التجارة أمراً هينا عند العرب ، فلا بد للتجارة فى أغلب الأمر من رحلة إلى شرق البلاد أو غربها ، أو شمالها أو جنوبها ، وفى ذلك التعرض للسلب والنهب والمداوات القبلية . فهو قبل أن يضع رجله فى غرز ناقته يستفتى الأزلام لتبشره بالفوز وتؤيد رأيه فى القيام بهذه الرحلة ، أو لترده عما عسى أن يكون قد كمن له فى ثنيات الطريق من مخاوف وأخطار

٣ — وكان العرب يلقون بالا كبيرا إلى الأنساب ، يتحرجون أن يدخل الأجنبى فى أنسابهم ، مبالغة منهم فى حصانة القبيلة وتماسكها ، فإذا شكوا فى نسب مولود أو رجل فليست لهم وسيلة تذهب عنهم ذلك الشك إلا أن يحتكموا إلى الأزلام لتخبرهم بصحة نسبه أو بطلان ذلك

٤ — وكانوا إذا خرجوا فى حرب عرجوا قبل ذلك على أمين الأزلام ليكشف لهم بأزلامه عما يخبئ الغيب لهم من فوز وغنيمة ، أو خيبة وإخفاق فيمضون أو يرتدون

٥ — وإذا حصل بينهم (مدارأة) أى خلاف وخصومة ، فإن الحكم فيها هو الأزلام[٤]

٦ — وإذا أرادوا استنباط المياه وأرادوا أن يحفروا بئرا ضربوا بالقداح يستأمرونها فى ذلك[٥]

٧ — وكذلك الأمر إذا عزم أحدهم على زواج ، أو على ختان ولده ، أو على بناء قبته ، وسائر شؤون الحياة التى يطرأ عليه فيها الشك والاضطراب[٦]

أزلام الاستقسام

وأزلام الاستقسام هذه شبيهة بقداح الميسر ، فهى عيدان تسوى مثل ما تسوى عيدان قداح الميسر . وإنما سميت هذه القداح بالأزلام لأنها زلت ، أى سويت . ويقال : رجل مزلم وامرأة مزلمة ، إذا كان خفيفا قليل العلائق . ويقال : قدح مزلم ، وزلم إذا ظرف وأجيد قده وصنعه . وما أحسن ما زلم سهمه ، أى سواه . ويقال لقوائم البقر أزلام ، شبهت بالقداح للطافتها[٧]

وقد أسلفنا القول أن قداح الميسر تحز فيها حزوز ، أو توسم بوسوم تميز بعضها عن بعض . ولكن أزلام الاستقسام كانت تعلم بعلامات أخر تتفق مع الغرض الذى أعدت له ، وذلك بكتابة خاصة تسجل عليها ، كما سيأتى

ويختلف الرواة فى عدد هذه الأزلام فيعلمون بها الثمانية عدا . كتب على واحد منها : (أمرنى ربى) ، وعلى واحد منها : (نهانى ربى) وعلى واحد : (منكم) ، وعلى واحد : (من غيركم) وعلى واحد : (ملصق) وعلى واحد : (العقل) أى الدية . ويضمون إلى هذه الستة قدحا غفلا لم يكتب عليه شئ ، فإن خرج الغفل مرة أعيد الضرب إلى أن يخرج غيره من القداح

(٤) المحبر لابن حبيب ، بتحقيق الدكتوره ايلزه ص ٣٣٢
(٥) تفسير أبى حيان (٣ : ٤٢٥) والسيرة لابن هشام ٩٧ طبع جوتنجن
(٦) المحبر ، وتفسير أبى حيان ، وتفسير الفخر (٣ : ٣٥٧) ، والميسر والقداح ٣٩ — ٤٠
(٧) الفخر الرازى (٣ : ٣٥٧)

وذكر ابن حبيب فى المحبر [٨] أنه قد كتب على أحدها (افعل) وعلى الثانى (لا تفعل) وعلى الثالث (نعم) وعلى الرابع (لا) وعلى الخامس (خير) وعلى السادس (شر) وعلى السابع (بطىء) وعلى الثامن (سريع) . وذكر أيضا أنه كتب على بعضها (صريح) وعلى الآخر (ملصق) . كما ذكر أن قداح (المدارأة) التى سبق الكلام عليها كانت بيضاء ليس فيها شئ . وذكر أيضا أنه كان للحضر والسفر سهمان فيأتون السادن من سدنة الأوثان فيقول السادن : « اللهم أيهما كان خيرا فأخرجه لفلان » . فيرضى بما خرج له

وذكر ابن الكلبى [٩] عند الكلام على « هبل » : « وكان فى جوف الكعبة ، قدامه سبعة أقدح مكتوب فى أولها (صريح) والآخر (ملصق) فإذا شكوا فى مولود أهدوا له هدية ثم ضربوا بالقداح ، فإن خرج (صريح) ألحقوه ، وإن خرج (ملصق) دفعوه . وقدح على الميت ، وقدح على النكاح ، وثلاثة لم تفسر لى على ما كانت . فإذا اختصموا فى أمر أو أرادوا سفرا أو عملا أتوه فاستقسموا بالقداح عنده ، فما خرج عملوا به وانتهوا إليه »

قال : « وعنده ضرب عبد المطلب بالقداح على ابنه عبد الله » وسنذكر هذا الأمر بتفصيل عند الكلام على العامل الدينى

وذكر أيضا فى الكلام على ذى الخلصة [١٠] : « وكانت له ثلاثة أقدح : الآمر ، والناهى ، والمتربص »

وقال ابن هشام [١١] : « وكانت عند هبل قداح سبعة كل قدح منها فيه كتاب . قدح فيه (العقل) — أى الدية — إذا اختلفوا فى العقل من يحمله منهم ضربوا بالقداح السبعة ، فإن خرج العقل فعلى من خرج حمله . وقدح فيه (نعم) للأمر إذا أرادوه يضرب به فى القداح فإن خرج قدح نعم عملوا به . وقدح فيه (لا) إذا أرادوا أمرا ضربوا به فى القداح فإن خرج ذلك القدح لم يفعلوا ذلك الأمر . وقدح فيه (منكم) ، وقدح فيه (ملصق) ، وقدح فيه (من غيركم) ، وقدح فيه (المياه) إذا أرادوا أن يحفروا للماء ضربوا بالقداح وفيها ذلك القدح فحيثما خرج عملوا به .

وكانوا إذا أرادوا أن يختنوا غلاما ، أو ينكحوا منكحا ، أو يدفنوا ميتا ، أو شكوا فى نسب أحدهم ذهبوا به إلى هبل »

وقال الجاحظ [١٢] : (واستعملوا فى القداح الآمر، والناهى ، والمتربص . وهن غير قداح الأيسار)

وفى صبح الأعشى [١٣] : (افعل ، لا تفعل ، نعم ، لا ، خذ ، مر ، سريع) . وقال : (وإن كان بين اثنين اختلاف فى حق [١٤] سمى كل منهما سهما وأجالوا القداح ، فمن خرج سهمه فالحق له)

واختلاف الروايات فى ذلك يدلنا على أن العرب ما كانوا يلتزمون فى صناعة الأزلام نهجا معينا يقسرون عليه أنفسهم ، وإنما كان لكل كاهن من كهانهم ، ولكل حكم من حكامهم طريقة خاصة فيما يكتب على أزلامه من الإشارات ، كما يدل على أن لكل قضية من قضايا الاستفتاء أزلاما خاصة بها تناسبها وتنهض لها

للكلام صلة — عبد السلام محمد هارون

(٨) المحبر ص ٣٣٢
(٩) فى الأصنام ص ٢٨ وعنه نقل ياقوت فى (هبل)
(١٠) الأصنام ٤٧ ونقل عنه ياقوت فى (الخلصة)
(١١) السيرة ٩٧ جوتنجن
(١٢) الحيوان (٣ : ٤٤)
(١٣) صبح الأعشى (١ : ٤٠٢)
(١٤) هذا ما سماه ابن حبيب (المدارأة) ، كما سبق